

التعليم الاجنبي في المغرب
في عهد السلطان عبد العزيز بن الحسن الاول
١٨٩٤ - ١٩٠٨
دراسة تاريخية
الكلمات المفتاحية
(التعليم - المغرب - الارساليات التبشيرية)

اعداد

م. فضيلة اسماعيل رحيم
الجامعة المستنصرية /كلية التربية/قسم التاريخ

**Educational in Morocco in the era of Sultan AbdalazizBN
Hassan**

1908-1899

Historical study

Key Words

**(Education-Morocco-the missionary missionaries
Preparation. Te-Fadiluh ISMAEIL)**

**ALMUSTANSIRIYA UNIVERSITY-COLLEGE OF EDUCATION-
DEPARTMENT OF HISTORY**

المستخلص

ان التعليم الاجنبي في المغرب كان واحداً من الاهداف الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا وغيرها من الدول الاوربية من اجل زعزت استقرار البلد ونهب خيراته عن طريق بث ثقافة جديدة لذلك البلد العربي الاسلامي.

كان هدف المدارس الاجنبية هو ايجاد جيل من الخريجين مزودين بثقافة غربية لا تتلائم مع واقع المغرب وهذا الجيل يمكن له ان يفهم الاستعمار على انه تحرير من الظلام والعبودية ويمكن له فهم الواقع الجديد للعالم الاستعماري الذي كان يقوم اساساً على المادة وليس القيم والاخلاق، لذا فلا غرابة ان نجد ان معظم الذين درسوا في المدارس الاجنبية اعتنقوا الافكار الاوربية الهدامة كالماركسية واللينينية وغيرها من الحركات والافكار التي خربت واقع العالم الاسلامي والعربي.

Abstract

The foreign education in Morocco was one of the colonial aims pursued by France and other European countries in order to destabilize the country and loot its resources by instilling a new culture for that Arab Muslim country.

The point of foreign schools was to find a generation of graduates equipped with a Western culture that did not fit the reality of Morocco. This generation could understand colonialism as liberation from darkness and slavery and could understand the new reality of the colonial world, which was based primarily on matter rather than values and morals. To find that most of those who studied in foreign schools embraced European ideas destructive such as Marxism, Leninism and other movements and ideas that ruined the reality of the Islamic world and the Arab world.

المقدمة

التعليم الاجنبي احد المواضيع المهمة التي لم تأخذ حيزاً مناسباً في الدراسات التاريخية، لانه بمثابة سلاح ذو حدين فالتعليم الاجنبي كان هو البوابة التي ادخلت الاستعمار الاوربي الى وطننا العربي، من خلال شعاراته البراقة واساليبه الذكية التي كانت تستهوي عقول الشباب الذين كانوا يتطلعون الى تعليم اكثر رقياً من التعليم الكلاسيكي الذي دأبت عليه الاقطار العربية المبني اساساً على حفظ الاجرومية والفيه ابن مالك وحفظ آيات القرآن الكريم والسيرة النبوية.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة التي تسلط الضوء على مرحلة مهمة من مراحل تاريخ المغرب الحديث الذي شهد قدوم موجات من المبشرين الدينيين المسيحيين مزودين بالعلم والمعرفة وحاولوا فرضها على الشعب المغربي الذي كان يتطلع الى كل ما هو جديد في الثقافة والتعلم وقد شجعتنا المصادر المتوافرة الى اختيار فترة حكم السلطان عبد العزيز بن الحسن ١٨٩٤-١٩٠٨ لتكون فترة الدراسة التي قسمت الى مقدمة ومبحثين وخاتمة استعرضنا في المبحث الاول الجهود الفرنسية في نشر التعليم والثقافة واهم الاحداث الداخلية في المغرب التي رافقت ذلك النشاط وموقف الفقهاء ورجال الدين المغاربة من النشاط الفرنسي والهدف الذي يقف وراءه في حين خصص المبحث الثاني لتسليط الضوء على التعليم الالمانى واليهودي الذي رافق التعليم الفرنسي والاسباب التي جعلت السلطان المغربي يستعين بالالمان ليكونوا نداً للفرنسيين وقد استعرضنا اهم نشاطات البعثات التبشيرية الالمانية في المدن المغربية.

اعتمدت الدراسة على مصادر عديدة ومتنوعة اهمها كتاب المؤلفين مصطفى خالدي وعمرو فروخ الموسوم التبشير والاستعمار في البلاد العربية وتكمن اهمية هذا الكتاب انه فضح الاساليب الملتوية للمبشرين واهدافهم الحقيقية فضلاً عن رسالة الماجستير لهاشم احمد الذويب عن التطورات السياسية الداخلية في المغرب ١٨٩٤-١٩١٢ حيث افادتنا كثيراً في فهم الملابس التاريخية التي وقعت في تلك الفترة وكذلك استفادة الدراسة من كتاب الصادق محمد الفاسي الموسوم التعليم في المغرب

نشأته وتطوره ، اذ اسهب المؤلف في شرح اعداد المدارس الاجنبية وطرق الدراسة فيها وتقديمه لاحصاءات رقمية عن اعداد الطلبة الملتحقين بتلك المدارس. ولا ننسى ان نذكر ان مجلة (دعوة الحق) التي تصدر بمدينة الرباط المغربية قد اغنت الدراسة بمعلومات قيمة رغم قلة اعدادها هنا في بغداد وقد تمكنا من الحصول على اعداد قليلة منها من خارج المكتبات.

تمهيد

ورث المغرب نظاماً تعليمياً تقليدياً غير متطور يعتمد في أساسه على الكتاب والزوايا الدينية وكان لكل شيخ طلابه الخاصين به يلقنهم حفظ القرآن الكريم والتفسير والحساب وكان غالبية هؤلاء يعينون في بلاط الحكومة او دواوينها^(١).

حاول السلطان مولاي الحسن الاول (١٨٣٦-١٨٩٤)^(٢) اصلاح النظام التعليمي لكنه واجه معارضة شديدة من قبل الفقهاء فضلاً عن صدره الاعظم احمد بن موسى باحماد^(٣) الذي نصحه من مغبة السير بهذا الاتجاه دون رغبة العلماء^(٤).

بقيت معاهد مراكش وفاس وتازة تعطي الدروس الدينية في الفقه والشريعة لسنوات طويلة دون تدخل الحكومة في اعمالها، ولكن الرغبة كانت موجودة لدى السلطان الحسن الاول في تحديث الدولة والجيش، لكنه كان يخشى كذلك من ان تغرق البلاد في الديون ويفتح ذلك الباب على مصراعيه للتدخل الاجنبي الذي ادى في ذلك الوقت الى التحكم المالي للاروبيين في كل من تونس ومصر^(٥).

وبعد وفاة السلطان الحسن الاول في ٦ حزيران ١٨٩٤، كان ولده عبد العزيز^(٦) لازال قاصراً وقليل الخبرة في السياسة، فتولى الصدر الاعظم احمد بن موسى باحماد أمور الدولة لكنه سار على نهج أسلافه فلم تحدث مؤسسات الدولة وبقي التعليم على ما هو عليه، حاول الفرنسيين والاسبان والالمان مد يد المساعدة للمغرب لكن هذه الدعوات كانت تواجه بالرفض الشديد، فلم يسمح باحماد للارساليات الاوربية من الدخول للمغرب تحت اية مسمى لذلك كان الفرنسيون يخشون سطوته وسيطرته على مقاليد الحكم بقبضة من حديد^(٧).

جاءت الفرصة الحقيقية للاستعمار من الدخول للمغرب عام ١٩٠٠ بعد وفاة الصدر الاعظم وتولي السلطان مولاي عبد العزيز شؤون الحكم وكان الاخير ذو شخصية لاتشبه أسلافه فقد كان مولعاً بالحضارة الاوربية ومسرفاً الى درجة كبيرة، فتح الباب على مصراعية لدخول الدول الاوربية الى المغرب والعبث بها، فقد كانت الارساليات التبشيرية^(٨) الامريكية والبريطانية والفرنسية والالمانية تجوب ارجاء

المغرب وتقدم المساعدات الانسانية للسكان في المدن والقبائل دون رقابة من الحكومة المركزية التي كانت عاجزة من ان تمنع المبشرين من اداء اعمالهم وهي تنصير المسلمين وتبث الدعوة بين القبائل غير المسلمة باساليب وطرق شتى منها المساعدات الغذائية والعلاج ومنح الاموال للفقراء تحت راية الصليب^(٩).

المبحث الاول : التعليم الفرنسي :

تعود بدايات التعليم الاجنبي في المغرب الى نشاط الارساليات التبشيرية الفرنسية في عهد السلطان عبد العزيز اذ كانت تجوب مدن المغرب وتقدم المال والوثياب والكتب والمساعدة على ايجاد عمل ولم يكن المبشرون محسنين بالمعنى النبيل ولكنهم كانوا يستغلون ما بأيديهم من وسائل الاحسان حتى يصلوا الى اهدافهم التبشيرية^(١٠).

والتعليم عند المبشرين غاية واحده هي تنصير التلاميذ الذين يحضرون الى المدارس مسلمين كانوا او نصارى او يهود، الا ان المقصود بالتبشير هم الطلاب المسلمين ذلك لان تاريخ الاعمال التبشيرية في بلاد الاسلام كان الى حد كبير تاريخياً للتعليم التبشيري^(١١).

كان المبشرون يعتقدون ان الجهود الفردية في نشر المذاهب المسيحية في المغرب وبين المسلمين خاصة قليل الجدوى لذلك لجأوا الى حكوماتهم، بعد ان رضي المبشرين ان يجعلوا انفسهم والدين آلة طيعة في يد دولهم، انتهزت تلك الدول هذه الفرصة وجعلت تساعد المبشرين والدين^(١٢).

وللمدارس الفرنسية مثل مدارس (الاخوان النصارى)^(١٣) والمدارس اليسوعية وما يتصل بها جميعاً من مدارس الراهبات وسواها مشاكل خاصة ، فقد كانت المدارس الفرنسية تتبع سياسة واحدة دائماً فهي لا تسعى الى استغلال النشاط القومي في تعليم اهل البلاد ولا هي تسعى الى ابراز الخصائص الوطنية حيث تفتح ابوابها لابناء البلاد التي تكون فيها ولكنها تعمل على ان تجعل من ابناء البلاد الذين تعلمهم أشباهاً لابناء فرنسا في المظهر واللغة واسلوب التفكير والتعلق حتى الموت بفرنسا المستعمرة^(١٤).

كان للمدارس الفرنسية منهاج خاص وموحد تسير عليه انه منهاج استعماري في كل شيء فعلى الطالب ان يعرف جغرافية فرنسا وتاريخها وادق التفاصيل عن هضاب وروافد وانهار ومفردات الصادرات الفرنسية^(١٥).

وعلى التلاميذ أن يقرأو تاريخ فرنسا أكثر مما يقرأون عن تاريخ بلادهم^(١٦).

في عهد السلطان عبد العزيز سمح الصدر الاعظم باحماد وتحت ضغط شديد من قبل الحكومة الفرنسية للارسالية اليسوعية الفرنسية بافتتاح مدرسة للصبيان في فاس سنة ١٨٩٧ وأخرى في مراكش وقد التحق بمدرسة فاس ثلاثون تلميذاً إما مراكش فقد التحق بها تسع عشر طالباً وثمانية طالبات من اليهود^(١٧).

كان المبشرين قد اولوا اهتماماً خاصاً بالمدارس الداخلية للبنات، اذ كانوا يعتقدون (ان التبشير يكون اتم حكماً في مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الاحوال المؤاتية والفرص السانحة ان المدرسة الداخلية افضل من المدرسة الخارجية لانها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق واعمق)^(١٨).

لذلك افتتح الفرنسيين مدرسة(وست هول) (West holl) للبنات في مدينة الرباط عام ١٩٠٠ ضمت ثلاثين طالبة وفي سنة ١٩٠١ افتتحت مدرسة اخرى في فاس^(١٩) انخرط في الدراسة بنات التجار المغاربة والميسورين وحاشية السلطان الذين كانوا قادرين على دفع الاجور الدراسية لتلك المدرسة .

كانت تلك المدارس تتبع المنهج العلمي المتطور فقد كان يدرس الرياضيات والعلوم الطبيعية وكانت الدراسة باللغة الفرنسية حصراً، وجيء بمدرسين فرنسين اكفاء للتدريس في تلك المدارس^(٢٠).

وفي عام ١٩٠٢ أصدرت الحكومة الفرنسية تعليماتها للمدارس العاملة في المغرب والتي تنص على ان تنظم شؤون التعليم في مدارس المغرب وفق الاساليب المتبعة في مدارس فرنسا وان الحكومة الفرنسية تشجع المؤسسات التعليمية وهي مستعدة لمنحها الاعانات والمساعدات الكبيرة^(٢١).

لذلك عمدت فرنسا الى زيادة عدد المدارس وفتحها في شتى ارجاء المغرب، ولتحقيق أهدافها عمدت الحكومة الفرنسية على الاشراف على تلك المدارس وعدم السماح للحكومة المغربية التدخل في شؤونها^(٢٢).

لم يعارض السلطان عبد العزيز الاجراءات الفرنسية، لابتعاده عن مشاكل الدولة وغيابه عن رعيته فضلاً عن انغماسه بالحدائث الاوربية وشراء كل ما هو غريب والذي ادى في النهاية الى استنزاف ميزانية الدولة، وبالتالي اضطر السلطان للاستدانة من البنوك الاوربية لاسيما فرنسا^(٢٣). ادت كل هذه الامور الى ضعف السلطة المركزية المغربية وقيام العديد من التمردات وحركات العصيان على السلطان اهمها حركة الجيلاني البوحمارة^(٢٤) وحركة احمد الريسوني^(٢٥).

نشرت الادارة الفرنسية في المغرب عام ١٩٠٤ أحصائية تظهر اعداد المدارس والتلاميذ في المدن المغربية وهي كالآتي^(٢٦):

المدينة	مدارس الذكور	مدارس الاناث	المدارس الداخلية المختلطة
الرباط	٤	٢	٣
مراكش	٥	٣	٣
الدار البيضاء	٢	٢	١
فاس	٣	٢	١
تازه	١	١	-
طنجة	١	١	-
مكناس	٢	٢	١
تطوان	١	١	٢
المحمدية	١	١	١
اغادير	٢	١	٢

سبب نشر تلك الاحصائية ردود فعل كبيرة لاسيما بين اوساط الفقهاء وعلماء الدين الذين افتو بحرمة الانتماء الى تلك المدارس كون الهدف منها هو (تنصير اولاد المغرب وحرف عقيدتهم وابعادهم عن الاسلام)، وكان يقود هذا التيار المتشدد

الشيخ سيدي احمد المولودي من علماء طنجة البارزين، الذي القى بالائمة على السلطان عبد العزيز الذي وصفه بالضعيف(٢٧).

كما حث رجال الدين الاهالي ومن على منابر صلاة الجمعة على توخي الحذر من المدارس الاجنبية التي (تدس السم بالعسل وتحرف عقيدة الصبيان) (٢٨).

واجه السلطان عبد العزيز مشكلة اخرى تضاف الى مشاكله وهي غضب العلماء والفقهاء في شتى المدن المغربية من السياسة التعليمية الفرنسية والاهداف المشبوهة خلفها(٢٩).

وفي فاس قاد مولاي مرزوق الفاسي حملة توعية وتنقيف للاهالي وحذرهم من (المفاسد) التي تقوم بها ادارات المدارس الفرنسية والاوربية، وحث السكان على ارسال اولادهم الى معاهد العلم الاسلامية لحفظ القرآن(فهو الحصن المنيع ضد دسائس الكفرة)(٣٠).

مدارس الجاليات الاجنبية في المغرب

وعلى اية حال، سمحت حكومة السلطان عبد العزيز للجالية البريطانية في المغرب من فتح مدارس خاصة لاولادهم. فتأسست سنة ١٩٠٧ المدرسة البريطانية في مراكش لتدريس اللاهوت والفلسفة والعلوم العقلية وقد انضم للمدرسة في بداية تأسيسها ٥٥ طالباً غالبيتهم من ابناء القناصل والتجار والمستشارين التجاريين وارباب العمل ممن يعملون في المغرب(٣١).

وقد استمرت المدرسة تؤدي اعمالها حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى، حيث اغلقت بأمر من الحكومة البريطانية(٣٢).

وقد حذت هولندا حذو بريطانيا في تاسيس مدارس لجالياتها ففي عام ١٩٠٨ افتتحت مدرسة (القديسة بربارا) الهولندية في الدار البيضاء بالقرب من الميناء الرئيسي وضمت في بداية تاسيس المدرسة ٦٦ طالباً من ابناء اصحاب الوكالات

التجارية الهولندية العاملين في الموانئ البحرية المغربية مثل ميناء أسفي واغادير وطانطان(٣٣).

لكن ادارة المدرسة سمحت للطلاب المغاربة بالالتحاق بالدراسة التي كانت مدتها اربع سنوات ينتقل بعدها الطالب الى الدراسة التوجيهية ثم الجامعة(٣٤).

أستمر عمل المدرسة حتى عام ١٩٤٥ حيث الحق المبنى بالميناء الكبير، والجدير بالذكر ان ابناء الموظفين في البلاط المغربي قد الحقوا بالمدرسة الهولندية وتخرجوا منها، واكملوا دراستهم في بريطانيا وامستردام وباريس(٣٥).

وكانت في الدار البيضاء مدرسة اسبانية هي مدرسة (سنت خوليو) التي تم افتتاحها منذ عام ١٩٠٠ وكانت مدرسة خاصة لابناء الجالية الاسبانية في المغرب ، اخذت الحكومة الاسبانية على عاتقها التكفل بمصاريف المدرسة والعناية بها ولم تسمح ادارة المدرسة بقبول التلاميذ الذين لا يحملون الجنسية الاسبانية وقد استمر عمل المدرسة حتى سنوات متأخرة ، اذ غادرها الكادر ولم يبق من المدرسة شيء يذكر(٣٦).

المبحث الثاني

التعليم الالمانى واليهودى فى المغرب

١- التعليم الالمانى

بعد عجز السلطان عبد العزيز عن مواجهة الفرنسيين وتخلي الحكومة البريطانية عنه فى محاربة حركتي بوحماره والريسونى، أتجه السلطان الى المانيا، حيث سمح للرساليات التبشيرية الدخول لاراضى المغرب.

ان الرساليات التبشيرية الالمانية كبقية الرساليات الاوربية الاخرى ادت دوراً كبيراً فى تهيئة الاقاليم التى وصلت اليها لدخول عالم القرن العشرين، فقد تدافع العالم نحو القاره الافريقية اواخر القرن التاسع عشر لاقامة الامبراطوريات والبحث عن الموارد الاولية وتصير الافارقة، بل اضحت مراكز متقدمة للنشاط الاستعماري فى افريقيا ولعل البعثات الالمانية البروتستانتية والكاثوليكية ابرز مثال على ذلك^(٣٧).

اسهمت الرساليات الالمانية عام ١٩٠٥ فى ادخال النظم التربوية والتعليمية للمغرب وقدمت الحكومة الالمانية المساعدات الى بعض الرساليات ليس لكونها بعثات دينية انما كونها مؤسسات تربوية واجتماعية وافرادها مواطنون تابعين لها، وذلك بهدف ترويج النظم التربوية والتعليمية التى تريدها، ولاسباب انسانية فى بعض الاحيان، ولكن الهدف الرئيسى يبقى هو اعداد نخب مغربية تتولى ادارة المستعمرات الالمانية فى مرحلة لاحقة^(٣٨).

نجحت بعثة بريمن Barmen فى تاسيس المدرسة الانجيلية الالمانية فى الرباط ١٩٠٥ وهى مدرسة داخلية للاناث والذكور، اعتمدت مناهج حديثة ومتطورة قبلت فى صفوفها فى السنة الاولى زهاء ٣٠ تلميذاً و ٢٠ تلميذة^(٣٩).

كانت مناهج التلاميذ الذكور تختلف عن مناهج الاناث، اذ كان يعطى للطلبة الذكور دروسا فى الضبط العسكري والطاعة العمياء للاوامر، فضلاً عن الدروس

النظرية كالحساب واللغة الالمانية والعلوم الفيزيائية والكيمائية وهذه المواد الدراسية تعطى للاناث ايضاً مضافاً اليها دروس في الخياطة والتمريض والتصميم^(٤٠).

مطلع عام ١٩٠٦، افتتحت بعثة باسler (Basler)^(٤١) مدرستين ابتدائيين في مراكش واحدة للذكور والاخري للاناث سميت بمدارس باسler، التي كان الاقبال عليها شديداً لأن نظامها يختلف عن المدارس الاجنبية الاخرى، حيث كانت ادارة المدرسة تتكفل باكساء الطلبة والطالبات وتقدم لهم وجبات طعام ورعاية صحية^(٤٢).

وفي ٧ تشرين الثاني ١٩٠٦ ادى اندلاع نزاع بين الاهالي في مراكش الى احراق مدرسة الذكور، فقدمت ادارة المدرسة طلباً للحكومة المغربية لحمايتها ولكن السلطان عبد العزيز اهمل الطلب ولم يقدم أية مساعدة، مما حدى بالحكومة الالمانية باغلاق مدارس باسler بعد عدة اشهر من افتتاحها^(٤٣). واستعاضت عنها بخدمات جمعية الراين التي بدأت عملها الفعلي عام ١٩٠٦. واستمرت جمعية الراين الالمانية تقدم خدماتها في فاس حيث افتتحت مدرسة للذكور هناك وقد اعتمدت على كادر تدريسي الماني، وقد باشرت الدراسة فيها مطلع عام ١٩٠٧ وضمت في صفوفها ٤٥ طالباً من الذكور فقط وقد استمر عمل المدرسة حتى عام ١٩١٢ حيث اغلقت بامر من السلطات الفرنسية بعد اعلان الحماية على المغرب^(٤٤).

ومع حلول عام ١٩٠٨ تمكنت بعثة كينور Knauer من تأسيس مدرسة ابتدائية للذكور في طنجة وحثت الاهالي على تسجيل اولادهم في المدرسة، وقد بلغ عدد تلاميذها عند افتتاحها ٣٩ تلميذاً وكان غالبيتهم من اولاد الاسر الميسورة والثرية التي كانت تطمح بتعليم اولادها مبائ العلوم الحديثة التي لم توفرها الحكومة المغربية^(٤٥).

٢- التعليم اليهودي

في السنة ذاتها أفتتحت البعثة البروتستانية الانجيلية مدرسة داخلية في تازة للتلاميذ اليهود وقد هرع الاهالي من الطائفة اليهودية بتسجيل ابناءهم في المدرسة، وقد بلغ عدد التلاميذ ٦٠ تلميذاً وبالتعاون بين ادارة المدرسة والاهالي ثم استأجار

الدار وتأسيسها على نفقة الاهالي وقد ساهم بعض المتعلمين من اليهود باعطاء الدروس فيها مقابل اجور رمزية^(٤٦).

وبعد فترة قصيرة استولت مدارس الاليانس^(٤٧) عليها وحولتها وفق نظامها العالمي وقد استمر عمل المدرسة الانجيلية لسنوات عديدة، ولم تتدخل السلطات الفرنسية في عملها او حتى علاقتها، وقد تخرج من هذه المدرسة العديد من الشخصيات التي هاجرت فيما بعد الى اسرائيل^(٤٨).

وتمكن الثري اليهودي بنيامين دانيال من تاسيس مدرسة داخلية للبنات في الرباط تحقيقا لرغبة زوجته التي كانت تطمح لتاسيس مدرسة للبنات قبل وفاتها ، وقد جلب دانيال مناهج تربوية حديثة من اوربا لتطبيقها في مدرسته . تم قبول ٢٥ طالبة في السنة الاولى لافتتاح المدرسة وقد زيد العدد الى اكثر من ذلك في السنوات اللاحقة ، كانت تعطى للبنات دروسا نظرية وعملية ، فضلا عن دروس الحساب والعلوم الطبيعية واللغة العبرية كانت يتم تدريب الطالبات على فنون الخياطة والنقش والتداوي وقد استمر عمل المدرسة حتى اواخر الحرب العالمية الثانية. ^(٤٩)

يتضح من الجدول الاتي اعداد المدارس اليهودية في المغرب^(٥٠) .

المدينة	مدارس الذكور	مدارس الاناث
الرباط	١	١
طنجة	٢	١
مراكش	٢	-
الدار البيضاء	٢	١
فاس	١	١
تازة	١	١

والملاحظ ان مدارس اليهود كانت في تزايد ملحوظ لاسيما في فترة حكم السلطان عبد العزيز الذي كان يحاول اظهار نفسه امام الغرب كحاكم متسامح دينياً،

ولكن الحقيقة ان افتتاح هذه الاعداد من المدارس كانت تتم بموافقة ومباركة الحكومة الفرنسية ولا دخل للحكومة المغربية في عملها.^(٥١)

ومهما يكن من امر، فان الجاليات اليهودية في المغرب كانت تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي فلها مدارسها الخاصة واسواقها وحتى نشاطاتها كانت بعيدة عن تدخل الحكومة المغربية ، بل ان بعض اثرياء اليهود كانت لهم علاقات صداقة وطيدة مع حاشية السلطان والمقربين منه ، وتذكر بعض المصادر ان السلطان عبد العزيز نفسه كان يتلقى الهدايا من تجار يهود وصناعيين كبار مقابل تمشية بعض الامور ، لذلك فلاعجب ان نرى حرية التعليم اليهودي واستقلاله عن التدخلات الداخلية والخارجية^(٥٢)

تنبهت الحكومة الفرنسية لخطر النفوذ الالمانى في الاراضي المغربية، فوجهت اندازاً للرساليات الالمانية بضرورة مغادرتها المغرب، الا ان الالمان رفضوا الانذار الفرنسي واعلنوا ان السلطان عبد العزيز وحده هو من يقرر ببقاءهم من عدمه، وقد استاء كثيراً الامبراطور الالمانى ويلم الثاني Wilhelm II (١٨٤١-١٩٢٩) ^(٥٣) من تصرفات الفرنسيين، واصر على بقاء اعمال البعثات الالمانية في المغرب^(٥٤).

لكن رئيس الوزراء الفرنسي جورج كلمنصو Georges Clemenceau (١٨٤١-١٩٢٩)^(٥٥) لم يرق له ذلك.

فاستعان بالحكومة البريطانية وذكرهم بالاتفاق الودي ١٩٠٤ ^(٥٦). بين الدولتين، وتحت ضغط بريطانيا وفرنسا انسحبت البعثات الالمانية من الاراضي المغربية، واتجهت نحو دول افريقية اخرى مثل الكونغو وساحل العاج حيث بدت باعمالها التبشيرية هناك^(٥٧).

كان ذلك يعد بمثابة نصر فرنسي على الالمان فقد تخلصت الحكومة الفرنسية من منافس قوي وفعال له ثقله الدولي^(٥٨)

الخاتمة

بعدما أستعرضنا الاحداث يمكن أن تخرج بالحقائق التالية.

أولاً: ان الهدف من فتح المدارس الاجنبية في المغرب كان يراد منه تخريج جيل جديد من المثقفين وفق الثقافة الاوربية يمكن لهم قيادة البلاد في مراحل لاحقة وان هذا الهدف قد عمل عليه كلاً من فرنسا والمانيا، لكن نجاح الفرنسيين كان اكثر من الالمان الذين انشغلوا بظروف الحرب في حين ان الفرنسيين مهدوا الطريق لقيادات شابه قادت المغرب حتى الاستقلال وكان هؤلاء يدينون بالولاء لصالح الحكومة الفرنسية.

ثانياً: تشابهت الاساليب الاستعمارية عند المبشرين واختلفوا بالهدف فكل الارساليات التبشيرية التعليمية كانت تقوم بانشاء المدارس وفق سياساتها التعليمية لكن هدفهم كان حصر ابناء البلد في بودقة المستعمر وهذه الاساليب اتبعها الفرنسيين في سوريا ولبنان ايضاً ولم تكن في المغرب فقط ، فقد نراها تتبع عين الاساليب في تونس والجزائر.

ثالثاً: ضعف الحكومة المغربية، لاسيما السلطان عبد العزيز الذي كان بعيداً كل البعد عما يدور حوله وفي بلده هذه الغفلة هي التي أتاحت المجال للفرنسيين من تنفيذ خططهم دون رقابة حكومية فضلاً عن ان الفرنسيين انفسهم ادخلوا السلطان وحكومته في دوامة الازمات الاقتصادية والسياسية حينما دعموا الحركات المناوئة للسلطان كحركتي الرسوني وبوحماره.

رابعاً: موقف العلماء والفقهاء في المغرب لم يكن بالمستوى المطلوب ولم يكونوا جادين في محاربة تلك المدارس الاستعمارية ولم تلقى دعواتهم بترك الدراسة الاجنبية اذان صاغية على العكس تماماً فأن اغلب الاهالي كانوا يفضلون المدارس الاجنبية على غيرها من المدارس والزوايا التي تشرف عليها الحكومة المغربية.

هوامش ومصادر البحث

- (١) المنصف التازي، تطور النظم التعليمية في المغرب، ط٢، الرباط، ١٩٨١، ص٥٥.
- (٢) هو الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هاشم بن مولاي علي الشريف العلوي ولد سنة ١٨٣٦ في مدينة فاس، وقد تولى الحكم خلفاً لابيه محمد الرابع بن عبد الرحمن، حاول ان يجعل الحكم مركزياً وان يبسط سلطه الدولة على كل القبائل دون تمييز تمكن من تحديث الجيش لكن الاصلاحات الاخرى لم تتم بسبب تمرد بعض القبائل تمكن الحسن من صد اطماع الاوربيين في بلاده وفي مؤتمر مدريد ١٨٨٠ تم الاعتراف بعدم تبعية المغرب لاية قوة اجنبية بالمقابل حصلت ١٣ دولة اجنبية على امتيازات عديدة توفي في ٦ حزيران ١٨٩٤ ودفن على مقربة من وادي العبيد. ينظر: احمد بن خالد الناصري، الاستقصا ل اخبار دولة المغرب الاقصى، ج٩، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٩٧، ص٢٠٧.
- (٣) هو احمد بن موسى الشرقي ولد عام ١٨٤٠ كان والده يشغل وظيفتي الحاجب والصدر الاعظم وتوفي في مراكش اعتقد باحماد بانه سيخلف ابيه في منصبه لكن السلطان الحسن الاول فضل فصل الوظيفتين ومنح منصب الصدر الاعظم لباحماد، بعد وفاة السلطان الحسن اصبح وصياً على العرش لحين اكمل السلطان عبد العزيز السن القانوني كان حكمه يمتاز بالشدّة وقد حافظ على حدود المغرب من الاطماع الاوربية كان يكره التحديث في مؤسسات الدولي، توفي عام ١٩٠٠. ينظر: المصدر نفسه، ج٧، ص٣٠٥.
- (٤) زاهية قدورة ، تاريخ المغرب الحديث ، ط٢، الرباط، ١٩٨٨، ص ٣٥.
- (٥) المنصف التازي، المصدر السابق، ص٦٤.
- (٦) ولد مولاي عبد العزيز السلطان الثامن عشر عام ١٨٧٨ في مدينة فاس وهو من العلويين تولى الخلافة بعد وفاة ابيه مولاي الحسن الاول سنة ١٨٩٤، بعمر الرابعة عشر الا ان السلطة الفعلية كانت بيد الصدر الاعظم احمد بن موسى باحماد كونه وصياً على العرش ولكن بعد وفاته عام ١٩٠٠ حكم عبد العزيز البلاد حكماً فعلياً، اثارت سياساته عامة الناس في المدن والبادية بسبب انغماسه في ملذات الحياة تاركاً البلاد للفرنسيين، توفي في مدينة طنجة عام ١٩٤٣ عن عمر ناهز الخامسة والستون. ينظر اسماعيل تزارني، العلاقات الدبلوماسية المغربية في عهد الدولة العلوية الشريفة، الدار البيضاء، ١٩٧٧، ص٨.
- (٧) عبد النور العلوي، تاريخ المغرب من الحماية حتى الاستقلال، ط٢، مراكش، ١٩٦٦، ص٣٣.
- (٨) بدء نشاط الارساليات التبشيرية في المغرب منذ عام ١٨٤٠ وكانت الارساليات الفرنسية في طليعتها حيث كانت تجوب اراضي مراكش وفاس ومكناس وطنجة تلتها الارساليات الالمانية

- والبريطانية والبريطانية اقتصر عمل تلك الرسائل على تقديم الخدمات الطبية والعلاجية وافتتاح المدارس للذكور وللاتات وتقديم المساعدات الانسانية بذريعة (البر والاحسان) ينظر: عبد الاعلى سيد تهامي ، التبشير والتنصير في البلدان الاسلامية، ط٢، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص٧٣ .
- (٩) اسماعيل تزارني، المصدر السابق، ص١٤٤ .
- (١٠) مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط٢، بيروت، ١٩٥٧، ص٥٣ .
- (١١) يونس درمونة، التعليم المسيحي في المغرب العربي، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٤٦، ص٤٠ .
- (١٢) مصطفى خالدي وعمر فروخ، المصدر السابق، ص٥٩ .
- (١٣) اسمها الحقيقي بالفرنسية الاخوة اليسوهيين اسسها الكاردينال دي لوفال بان De Loyal Ban عام ١٨٠١ وهدفها نشر المسيحية في افريقيا بين القبائل الوثنية عن طريق تعليم اللغة الفرنسية والعادات والتقاليد ينظر عبد الاعلى سيد تهامي ، المصدر السابق، ص٧٩ .
- (١٤) محمد ولد قوره، السياسة الفرنسية على المغرب، دار الوثائق، مراكش، ١٩٦٦، ص٣٣ .
- (١٥) يونس درمونة، المصدر السابق، ص٤٧ .
- (١٦) مصطفى خالدي وعمر فروخ، المصدر السابق، ص٥٦ .
- (١٧) محمد اليزيدي، التعليم بالمغرب في عهد الحماية، فاس، ١٩٩٩، ص٢٣٩ .
- (١٨) مصطفى الخالدي وعمر فروخ، المصدر السابق، ص٥٩ وما بعدها .
- (١٩) جون جيمس، حركة المدارس الحرة بالمغرب، ترجمة السعيد المعتم، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩١، ص١٤٥ .
- (٢٠) محمد اليزيدي، المصدر السابق، ص٢٤٠ .
- (٢١) الصادق محمد الفاسي، التعليم في المغرب نشأته وتطوره، ط٢، الدار البيضاء، ١٩٧٧، ص٢٦ .
- (٢٢) محمد ولد قوره، المصدر السابق، ص٨١ .
- (٢٣) محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديثة، دار المغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٦١ .
- (٢٤) تمكن الجيلاني بن ادريس الزهروني المعروف تاريخياً (ابو حماره) من تحريض العديد من القبائل المغربية ضد السلطان عبد العزيز وقد نجح عام ١٩٠٢ من الاستقلال في مدينة تازة مستغلاً سلوك السلطان عبد العزيز وتصرفاته فشن عليه حرباً دعائية كانت نتيجتها المزيد من السخط الشعبي على السلطان وقد كان الجيلاني مدعوماً من قبل الفرنسيين الذين كانوا يريدون

اضعاف مركز السلطان مما يسهل عليهم فرض نفوذهم على المغرب. استمرت حركة بوحماره حتى وصل نفوذه قرب فاس سنة ١٩٠٦ وبقيت الحكومة المغربية عاجزة عن قمع تلك الحركة، حاول السلطان الاستعانة بالحكومة البريطانية التي رفضت التدخل بحجة ان ثورة بوحماره هي مسألة داخلية واخيراً كان لحركة بوحماره الاثر الكبير في اضعاف سلطة السلطان عبد العزيز وضياح ما تبقى من هيئته ينظر جمال هاشم احمد الذويب، التطورات السياسية الداخلية في المغرب الاقصى ١٨٩٤-١٩١٢، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاداب ، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٥-٣٦؛ صلاح العقاد، المغرب العربي دراسات في تاريخه الحديث، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٣٢.

(٢٥) كان الريسوني خارجاً عن قانون الدولة وتمكن من تكوين مجموعة من قطاع الطرق وبعد لقاء القبض عليه وسجنه وتلقيه معاملة قاسية ادت الى تكوين رغبة دائمة للانتقام من السلطة المركزية بدعت اعماله الانتقامية بعد اطلاق سراحه عام ١٩٠٠ حيث كان يخطف الاغنياء ويطالب بفضية حتى وصل به الامر الى اختطاف برديكارس الثري الامريكي والذي ثارت ضجة واسعة عليه من قبل السلطات الامريكية وتدخل الرئيس الامريكي ثيودور روزفلت بنفسه لهذه القضية الى اطلاق سراح الثري الامريكي . كان موقف الحكومة المغربية تجاه عمليات الريسوني ضعيفاً جداً لاسيما وان الاخير تعاون مع بوحماره وادى ذلك في النهاية الى زيادة التدخل الاجنبي حيث شكلت قوة شرطة في طنجة (مركز عمليات الريسوني) تحت الادارة الفرنسية بذريعة عدم استتباب الامن وذلك في تموز ١٩٠٤ ينظر أ. ج. تايلر، الصراع على السيادة في اوربا ١٨٤٨-١٩١٨، ترجمة كاظم هاشم نعمة، الموصل ١٩٨٠، ص ٤٧٢.

(٢٦) جون جمس ، المصدر السابق، ص ١٥١.

(٢٧) عبد الحق محمد التازي، الاسلام في افريقيا، ط ٢، دار الاوقاف الاسلامية، طنجة ١٩٥٩، ص ٥٣.

(٢٨) عبد الرحمن ولد سيدي احمد، الاسلام ومواجهة الغرب، ط ٢، موريتانيا، ١٩٨٠، ص ١٩.

(٢٩) عبد الحق محمد التازي، المصدر السابق، ص ٥٩ وما بعدها.

(٣٠) عبد الغفور سيد عبد الرحمن، الاسلام وقوى الكفر، مؤسسة الفرقان الاسلامية، الرياض، ١٩٩٤، ص ١٧.

(٣١) ليلي عبد الرؤوف حلمي، التعليم في البلاد العربية (دراسة تحليلية)، ط ٢، القاهرة ١٩٧٤، ص ٦٩.

(٣٢) الصادق محمد الفاسي، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٣٣) ليلي عبد الرؤوف حلمي، المصدر السابق، ص ٧٢.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(٣٥) الجدير بالذكر ان الملك الحسن الثاني كان قد درس الابتدائية في هذه المدرسة قبل ان يتم دراسته في فرنسا فضلاً عن اسماء عديدة كان لها شأن كبير في السياسة والاقتصاد للمزيد ينظر المصدر نفسه، ص ٧٨.

(٣٦) ينظر : الهادي مرزوقي ، الاتجاهات السياسية في علاقات المغرب مع اسبانيا ، ط ١ ، فاس ، ١٩٨٨ ، ص ١٩٣ .

(٣٧) شوفي عطا الله الجمل، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٩٥.

(٣٨) ولتر هملز، النفوذ الالمانى في المغرب العربي، ترجمة احمد العلوي، ط ٢، فاس، ١٩٧٧، ص ٨١.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٤٠) ليلي عبد الرؤوف حلمي، المصدر السابق، ص ٧٩.

(٤١) تأسست هذه البعثة في سويسرا عام ١٨١٦ من الالمان ومارست نشاطاتها على مستوى عالي واستت لهما فروع في الهند واماكن اخرى من العالم، بلغ عدد اعضاءها العاملين ٢٣,٨٤٨ فرداً وفي عام ١٨٥٠ امتد نشاطها الى افريقيا حيث ودجت عملها التبشيري مع اعمالها في مجال الصناعة هناك ينظر فييح، جي، دي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة يوسف نصر، القاهرة ١٩٨٢، ص ٢٥٦.

(٤٢) فاطمة عبد الله، البعثات العلمية الالمانية في المغرب، دعوة الحق، مجلة، الرباط العدد ٢٩، ١٩٦٣، ص ٧١.

(٤٣) عبد القادر احمد المراكشي، التعليم ومشكلة البطالة في المغرب، الدار البيضاء، ١٩٧٧، ص ٥١.

(٤٤) فاطمة عبد الله، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٤٥) بيير، رينوفان، المغرب تحت اضواء جديدة، ترجمة كم نقش، ط ٢، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٠١.

(٤٦) عبد القادر احمد المراكشي، المصدر السابق، ص ٨١.

(٤٧) وهي المدارس التي اسسها الاتحاد الاسرائيلي العالمي نهاية القرن التاسع عشر في العديد من الدول العربية التي توجد فيها جاليات يهودية مثل مصر والمغرب والعراق وسوريا، كان الغرض من انشاء المدارس هو مواجهة النشاط التبشيري الذي كان يستهدف فقراء اليهود، حيث انتشرت هذه المدارس عالمياً في العديد من الاماكن لاسيما العالم العربي ينظر صموئيل أتينجر، اليهود في البلدان الاسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، ترجمة: جمال احمد الرفاعي، بيروت، ١٩٩٥، ص ٦٤.

- (٤٨) جاكوب بنيامين، يهود المغرب، عاداتهم، تقاليدهم، وصحافتهم، ط٢، لندن، ١٩٩٤، ص ٨١.
- (٤٩) يعقوب شوفين، التعليم الصهيوني، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٤٤.
- (٥٠) شمعون لاوي، يهود الافكار العربية، ط٢، لندن، ١٩٨٨، ص ٣٠٤.
- (٥١) المصدر نفسه، ص ٤٩.
- (٥٢) جاكوب بنيامين، المصدر السابق، ص ٩٤.
- (٥٣) ولد عام ١٨٥٩ في برلين وهو قيصر الرايخ الثاني الالمانى الى جانب كونه ملكاً لبروسيا ينحدر وليم من اسرة هو هنتسولون التي حكمت مملكة بروسيا منذ عام ١٧٠١ وهو ابن القيصر فردريك الثالث توج قيصراً بعد وفاة والده سنة ١٨٨٨ واجبر على التنازل عن العرش بعد نهاية الحرب العالمية الاولى ١٩١٨ بعد هزيمة المانيا في الحرب ونفي الى هولندا وهكذا سقط الرايخ الثاني الالمانى حيث اسست جمهورية فايمار في المانيا توفي في ٤ حزيران ١٩٤١، ينظر نيل، م.هايمان، موسوعة الحرب العالمية الاولى، ترجمة احمد يوسف، ج٢، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٩١.
- (٥٤) أ. ج. تايلر، المصدر السابق، ص ٤٧٦.
- (٥٥) ولد عام ١٨٤١ في فرنسا بدء حياته بدراسة الطب في باريس ولكنه تركه وذهب الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٦٥ حيث مارس الصحافة والتعلم، تزوج من سيده امريكية عاد سنة ١٨٦٩ وانتخب رئيساً لبلدية مورنمارتر ١٨٧٠ ثم عضواً في مجلس النواب الفرنسي ١٨٧٦-١٨٩٣، ثم وزيراً للداخلية عام ١٩٠٦ ورئيساً للوزراء ١٩٠٦-١٩٠٩، وفي شباط ١٩١٧ عين رئيساً للوزراء للمرة الثانية، تراس مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ بعد انتصار الحلفاء استمر يمارس عمله السياسي حتى وافته المنية في ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٩. ينظر: نيل، م، هايمان، ج١، ص ٨٨ وما بعدها.
- (٥٦) عقد الاتفاق الودي في ٨ نيسان ١٩٠٤ بين بريطانيا وفرنسا لتسوية عدد من النزاعات الاستعمارية بين الدولتين وبعد الاتفاق تحسن ملحوظ في العلاقات الانجلو- فرنسية، بموجب هذا الاتفاق اعترفت فرنسا بالسيادة البريطانية على مصر بالمقابل اعترفت الحكومة البريطانية بالنفوذ الفرنسي على المغرب، وقد قلل الاتفاق من حالة العزلة الافتراضية التي ركن اليها كل من فرنسا وبريطانيا، وقد تم تاكيد التضامن الفرنسي- البريطاني مرة اخرى في مؤتمر الجزيرة الخضراء ١٩٠٦ ينظر: لويس دوللو، التاريخ الدبلوماسي، ترجمة: سموحي فوق العادة، بيروت، ١٩٩٩، ص ٨٢.
- (٥٧) د. نصير شكر محمود، سياسة المانيا الاستعمارية تجاه افريقيا والبحار الجنوبية، بغداد، ٢٠١٢، ص ٩.
- (٥٨) لويس دوللو، المصدر السابق، ص ٨٩.